

## ”كم من عذق رداح“ في الجنة لأبي الدحداح



أناس قد يشبهوننا ونشبههم في الشكل أو اللسان، لكنهم حقيقة مختلفون عن الغالبية العظمى منا، نعم قد تتحدث كما يتحدثون وبين أيدينا القرآن الذي أنزل عليهم، وبيننا من يحفظه أكثر وأتقن مما حفظه معظمهم، وتوافر لدينا اليوم من وسائل العلم بأحاديث النبي وسننه بصورة أكثر وأيسر مما توافر لديهم، ولكن هناك بونٌ شاسع دائمًا بيننا وبينهم في القيم والتصورات والأفكار التي تنطلق منها الأفعال وردود الأفعال،

حساباتهم لم تكن كحساباتنا، فقلوبهم كانت مليئة بشيء خفي على كثير منا، عقولهم لم تكن كعقولنا في ترتيب أولوياتها، ويفيننا – على المستوى الإجمالي – لا يرقى مطلقاً إلى معاشر يقينهم في الله سبحانه وفيما عنده.

نماذج فريدة يندر تكرارها ومواقف ساطعة ينبغي تأملها ودراستها والتفكير فيها، لأن العقل يقف عاجزاً عن استيعابها فضلاً عن اتخاذ القرار بمحاولة التأسيّ بها والسير على خطها.

فعن أنس بن مالك: **أَنَّ رَجُلًا قَالَ:** يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لَفَلَانَ نَخْلَةً، وَأَنَا أَقِيمُ نَخْلَيْ بِهَا، فَمَرَهُ أَنْ يَعْطِينِي إِبَاهَا حَتَّى أَقِيمَ حَائِطَيْ بِهَا. فَقَالَ لِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **”أَعْطِهَا إِبَاهَا بِنَخْلَةً فِي الْجَنَّةِ“** فَأَبَاهُ أَبُو الدَّهْدَاحِ فَقَالَ: بَعْنِي نَخْلَكَ بِحَائِطِي. قَالَ: فَفَعَلَ. قَالَ: فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي قَدْ ابْتَعَتِ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي، فَاجْعَلْهَا لِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَذَكِرْهُ. فَأَتَى امْرَأَهُ فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّهْدَاحِ! اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ، فَإِنِّي بَعْتُهُ بِنَخْلَةً فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَتْ: قَدْ رَبَحْتِ الْبَيْعَ. أَوْ كَلْمَةُ نَحْوِهَا. [1]

وفي رواية عند أحمد أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: **”كَمْ مِنْ عِذْقٍ دَوَّاهٍ لِأَبِي الدَّهْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ – قَالَهَا مِرَارًا – [2]“** وروى مسلم من حديث جابر بن سمرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: **”كَمْ مِنْ عِذْقٍ مَعْلَقٍ فِي“**

الجنة لأبي الدجاج" [3]، وفي مسند أحمد "فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الجَنَّةِ" قَالَهَا مَرَارًا." [4]

في الموقف ثلاثة مشاهد متداخلة متتابعة ودروسٌ نافعة:-

المشهد الأول: مشهد رجل يأتي للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يعرض عليه مشكلة خاصة به، أنه يملك عدداً من النخل ويريد أن يبني حائطاً يجمعها فإذا بنخلة جار له تعترضه فطلب شراءها من أصحابها فأبى.

وهو مشهد عادي متكرر ولم تكن خصومة ولا مشكلة ضخمة، إنه أمرٌ معتاد عن مزارعي كل بلد من تداخل الأرض والأشجار والثمار، والنبي صلى الله عليه وسلم حريص على عدم وجود أي شحنة أو بغضنه بين أنفس أصحابه، فكان يسرع في حله بأفضل الحلول وأعدلها حتى لا تتسع هوة الخلاف بين المؤمنين، ولهذا طلب من صاحب النخلة أن يبيعه إياها أو يمنحها له مقابل نخلة في الجنة فأبى صاحب النخلة - لصاحب النخلة الحق الكامل في القبول والرفض طالما أنه يملكها، لوجود القرائن بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان عرضه ترغيباً وليس أمراً فلم يعزم عليه النبي ويأمره بأمر شرعي، بل كانت بمثابة شفاعة منه صلى الله عليه وسلم، ولم يغضب منه النبي بعد عدم امتناعه لأنها لو كانت أمراً شرعياً لوجب تنفيذه ولما جاز للمسلم رد أو تأخير أمره صلى الله عليه وسلم - لم يعتبر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعتبر أحد من الصحابة أن هذا الرجل من المنافقين، بل لم يتعرض له أحد لرفضه عرض النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة في الجنة مقابل نخلته في الدنيا، ولم يتهمه أحد بحب الدنيا ولا الحرص عليها، فالنفوس نزعات ورغبات تحترم في الإسلام، وللنفوس شره وفترة في الإنفاق والبذل بل في كل الطاعات، وللنفوس عيوبها ودوروبها الخفية التي لا يعلمه إلا خالقها، والمال محظوظ لكل نفس، وقدم على البنين في القرآن لحب النفوس له، وخصص الجهاد به وقدم على الجهاد بالنفس في أكثر من سبع مواضع في القرآن الكريم، ولهذا يجب التروي إذا حدثت مواقف مشابهة، فلا يُتّهم أصحابها بجبن أو بخل فعلل في هذه النفوس خيراً كثيراً لم يحن وقت ظهوره.

- من الأدب الجم الذي يعلم الصحابة لنا ضمنياً دون أن يلفتوا نظرنا إليه مباشرة، وهو أنه إذا كان في الموقف التربوي النبوى نموذجان نموذج منهما فيه موقف خطأ أو به منقصة والموقف الثانى به موقف صحيح وفيه فضيلة، فكان لأبىهم أن يصرحوا باسم صاحب موقف الفضيلة ويكتوموا - ما أمكنهم - اسم صاحب المنقصة ففي هذا المثال مع ذكرهم لاسم أبي الدجاج في كل الروايات

إلا أنهم كتموا اسم صاحب النخلة الذي رفض بيعها بنخلة في الجنة فقالوا "إن لفلان نخلة"، فسترروا اسمه بقولهم فلان، حتى لا ينتقصه المسلمون بعد ذلك في كل العصور وتصير مثلاً في حقه .

وهذا من أبيبهم الجم الذي تكرر في كثير من المواقف والذي رياهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي يوم تبوك في الحديث الذي رواه حكاه كعب بن مالك وفيه سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عنه: "ما فعل كعب بن مالك؟". فقال رجل من بنى سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه ينظر في عطفيه. فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا إلا خيراً.

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم [5]، وفيه التعریض بشخص القائل المعیب والتصریح باسم القائل المدافع، تأديباً منهم وحرضاً على وحدة القلوب، والأمثلة غيره كثيرة - لحظة اتخاذ القرار عند أبي الدجاج، لحظة عجيبة تمر سريعاً علينا دون التفات، لحظة برقت فيها أنوار الجنة وفتحت أبوابها، فمن يشتري داخل الجنة ملكاً ولو صغيراً فإنه حتماً سيدخلها

لوجود ملك له فيها، فهو عقدٌ ليس فيه حنث ولا ضيم، فهو عقدٌ مع أوفي الأوفىاء مع من اسمه الحق سبحانه القائل "وَمَنْ أَوْفَى بِعِهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَأَسْتَشِرُوا بِيَعْنُمْ الَّذِي يَأْعِنُمْ بِهِ" ، فبكم يشتريها المؤمن، وهل يساوي كل ما يملك شيئاً في جوار هذا العقد؟ هذا ما التقطته الأذن الوعية التي شهدت هذا الموقف والتي استغلته جيداً، وما كان ليتصور أبداً أن تضيعه، إنها الجنة فلا محاباة ولا تنازل عنها ولا إيثار، فعبد الله بن حرام يقول لولده جابر "إنها والله الجنة ولو كانت غيرها لآثرتك بها" بعد أن استهما على من يخرج في أحد للقتال ومن يكون في البيت ليقوم بشان بنات عبد الله فكانت القرعة للأب، وهي الجنة التي لن يستطيع الأب والأم أن يعطيها ولدهما - رغم حبهما الكبير والفتري له - حسنة واحدة يوم القيمة فالكل يحتاج لحسنٍ لينجو من النار ويدخل الجنة.

وهنا لم يفكر أبو الدجاج في البستان وما يمثله له، وما يمثله هذا التبادل من خطأً تجاري فادح بمعيار أهل الدنيا، ولكن كل معايير أهل الدنيا تسقط بشراء نخلة في الجنة، فيساومه أبو الدجاج على بستانه كاملاً بكل ما فيه من نخيل وثمار وبئر محفورة وبيت للسكنى وحائط يحفظه كل ذلك في مقابل هذه النخلة ويرجوه القبول، إنه لا يريد النخلة فعنده من النخيل ما يكفيه وما يزيد عليها ناتجاً وثمراً، هو يريد ما وراءها، وهنا تحقق لهما العقد وربحها سوياً، ربح أحدهما حائطاً كبيراً بنخيله وثماره، بينما ربح الآخر موضع قدم له في الجنة ليضمن دخوله فيها، مما أعظم ربح أبي الدجاج مما أعظم ربح أبي الدجاج الذي ردّه النبي صلى الله عليه وسلم مراراً كم من عنق دواح لأبي الدجاج، كم من عنق دواح لأبي الدجاج - ونأتي للموقف الأكثر دلالة ورقياً، لحظة أن يدخل أبو الدجاج على أم الدجاج طالباً منها مفارقة بيتها وبستانها وأشجارها ونخيلها، فكانت على نفس المستوى الإيماني، لم تتردد ولم تناقشه ولم تخرج وهي ممتعضة من قراره ولم تكن عوناً لنفسه عليه، بل تقبلت البيع بفرح، وأعانته على تنفيذه وشجعته قائلة ربح البيع أو ربحت البيع، فكانت مثلاً مغايراً لطبيعة نساء كثيرات، لكنها من نساء الصحابة اللاتي يعن ما يملكون إرضاءً لله، فهانت عليهن كل الممتلكات الدنيوية.

فالحالا مثل حالهن جميعاً يوم أن خرجن من حليهن لتجهيز جيش تبوك، وكحال من سألن النبي صلى الله عليه وسلم عن سبل الأجر لهن حيث اعتقدن أن الرجال قد ذهبو بكل الأجر بالجمعة والجماعة والجهاد، لم يشغلن أنفسهن بتفاهات يسمونها اليوم بحقوق المرأة، فكنَّ يعلمون أن الإسلام قد أجزل لهن العطاء وجعلهن مساوين للرجال تماماً في التكليف والأجر مع اختصاصها ببعض التخفيف لطبيعتها التي خلقها الله عليها إنهن نساء الصحابة اللاتي شاركن في الجهاد يسقين المقاتلين ويداويين الجرحى بل ويقاتلن أيضاً إذا حمي الوطيس واشتد الكرب، فمنهنَّ من قتلت مَنْ يحوم حول حصنهنَّ في الأحزاب ومنهنَّ من قتلت تسعة بعامود خيمتها ومنهنَّ من دافعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الرجال في أعظم ملاحم المرأة في كل العصور لم يربح أبو الدجاج وحده، بل ربح آل الدجاج جميعاً، فهنيئاً لهم جميعاً، فكم أعد لهم من عنق دواح في الجنة.

ولا زالت الأمة تنتظر من كل متشبه بآل الدجاج ومن كل راغب فيما أعدَّ لآل الدجاج من مزيد من الإنفاق ومن شراء لنخيل في الجنة فصاحب الوعد سبحانه لا يخلف وعده ولا ينفد نخيلاً.

[1] أخرجه أحمد (3 / 146) وابن حبان (2271 - موارد) والطبراني في "المعجم الكبير" (22 / 300 / 763) والحاكم (2 /

(20) ومن طريقه البهقي (3 / 249 / 3451) والضياء المقدسي في "المختار" (1 / 515) وذكره الشيخ اللبناني في سلسلة

الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها برقم 2946

[2] في مسنـد احمد وإسنـادـه صـحـيـحـ على شـرـطـ مـسـلـمـ

[3] جابر بن سمرة عند مسلم (965)

[4] مسنـد احمد برقم 12482 في مسنـد انسـ بنـ مـالـكـ

[5] الحديث بطوله في البخاري 6/3، ومسلم 4/2120

المسلم

المصادر: